

الدروس المستفادة من محاولة الجدل مع متشكك في الذكاء الاصطناعي

بدأت الحلقة بميم سياسي نشرته: دونالد ترامب وبنيامين نتניהو يرتديان بدلات سجن برتقالية، جالسين على سرير دور علوي تحت طبقة عيد الميلاد الدافئة والحنينية التي تقرأ “كل ما أريده لعيد الميلاد”. كانت السخرية البصرية فورية وحادة. إنشاؤها تطلب حلولاً مدروسة. نماذج توليد الصور المعاصرة لها كل من الضمانات السياسية والقيود التقنية في التماسك:

- Grok يسمح بكاريكاتيرات للشخصيات البارزة لكنه يفشل باستمرار في إنتاج نص مترابك موثوق.
- ChatGPT يتفوق في توليد نصوص زخرفية احتفالية مثل “كل ما أريده لعيد الميلاد” لكن ضماناته ترفض الطلبات التي تصور قادة سياسيين أحياء في إعدادات سجن.

لم يتمكن نموذج واحد من إنتاج الصورة الكاملة. العناصر المتضاربة — السخرية السياسية المشحونة مع الرسائل العاطفية للعطلة — تثير آليات الرفض أو فشل التماسك. نماذج اللغة الكبيرة غير قادرة ببساطة على تركيب مثل هذه المكونات المفاهيمية المتعارضة في إخراج متماسك واحد. قمت بتوليد العنصرين بشكل منفصل، ثم دمجتهم وتحريرها يدوياً في GIMP. كانت الصورة المركبة النهائية بشرية الصنع بلا شك: مفهومي، اختياري للمكونات، تجميعي وتعديلاتي. بدون هذه الأدوات، كانت السخرية ستبقى محاصرة في رأسي أو تظهر كرسوم عصا بدائية — خالية من أي تأثير بصري.

أبلغ شخص ما عن الصورة كـ “مولدة بالذكاء الاصطناعي”. في اليوم التالي، أدخل السيرفر قاعدة جديدة تحظر محتوى الذكاء الاصطناعي التوليدي. هذه القاعدة — والميم الذي أثارها — ألهماني مباشرة لكتابة ونشر المقالة “العقول عالية الأبعاد وعبء التسلسل: لماذا تهم نماذج اللغة الكبيرة للتواصل لدى الأشخاص ذوي الإعاقات العصبية”. كنت آمل أن تشجع على التأمل في كيفية خدمة هذه الأدوات كتسهيلات معرفية وإبداعية. لكنها تحولت إلى تبادل محرج إلى حد ما مع الإداري.

موقف المتشكك والتبادل

جادل الإداري بأن نماذج اللغة الكبيرة لم تُطور لصالح البشر بل تعزز إهدار الموارد والعسكرة. استشهد باستهلاك الطاقة، والروابط العسكرية، وانهيار النموذج، والهلوسات، وخطر “الإنترنت الميت”. كشف أنه قرأ المقالة بشكل سطحي فقط واعترف بامتلاكه محطة ألعاب قوية قادرة على تشغيل نماذج لغة كبيرة محلية متقدمة للتسلية الخاصة، مع الوصول إلى نماذج أكبر من خلال صديق.

ظهرت عدة تناقضات:

- عملي يتم على Raspberry Pi 5 منخفض الطاقة وقابل للإصلاح (5-15 واط) باستخدام حالات سحابية مشتركة. إعداداته المحلية تستهلك طاقة وأجهزة مخصصة أكثر بكثير.
- الأجهزة التي يستخدمها لـ “التجربة” مع نماذج اللغة الكبيرة القوية محلياً تأتي من شركات (إنتل، إيه إم دي، إنفيديا) لها عقود مباشرة مع وزارة الدفاع الأمريكية بمليارات الدولارات.

الأكثر إثارة للدهشة، أن الشخص الذي يفرض الحظر لحماية الأصالة كان يرفض شخصاً يختبر نماذج اللغة الكبيرة بنشاط للتحييزات الواقعية والجيوسياسية (انظر تدقيقاتي العامة لـ Grok و ChatGPT).

تشبيه هوكينغ وكلمات الإداري نفسه

حدد الإداري نفسه كشخص ذو إعاقة عصبية واعترف بإمكانات الذكاء الاصطناعي كتكنولوجيا مساعدة. أشاد بنظارات الترجمة الفورية للصم كـ "رائعة جداً"، لكنه أصر على أن "امتلاك آلة تكتب مقالات وترسم صوراً أمر مختلف". أضاف: "الأشخاص ذوو الإعاقات العصبية يمكنهم القيام بهذه الأشياء، الكثيرون تجاوزوا الحواجز لتطوير هذه المهارات". كما وصف تجربته الخاصة مع نماذج اللغة الكبيرة: "كلما عرفت أكثر عن موضوع، أقل حاجتي للذكاء الاصطناعي. كلما عرفت أقل عن موضوع، أقل تجهيزاً لملاحظة الهلوسات وتصحيحها". هذه التصريحات تكشف عن عدم تناسق عميق في كيفية الحكم على التسهيلات.

تخيل تطبيق المنطق نفسه على ستيفن هوكينغ:

"نحن ندرك أن جهاز تركيب الصوت يمكن أن يساعدك في التواصل بشكل أسرع، لكننا نفضل أن نحاول أكثر مع صوتك الطبيعي. الكثيرون ممن يعانون من مرض الخلايا الحركية تجاوزوا الحواجز للتحدث بوضوح — يجب عليك تطوير تلك المهارات أيضاً. الآلة تقوم بشيء مختلف عن الكلام الحقيقي."

أو، من منظوره الخاص حول الدقة الواقعية:

"كلما عرف هوكينغ أكثر عن علم الكونيات، أقل حاجته لجهاز التركيب. كلما عرف أقل، أقل تجهيزاً لملاحظة الأخطاء في الصوت الآلي وتصحيحها."

لا أحد سيتقبل ذلك. فهمنا أن جهاز تركيب هوكينغ لم يكن عكازاً أو تخفيفاً — كان الجسر الأساسي الذي سمح لعقله الاستثنائي بمشاركة عمقه الكامل دون حواجز جسدية لا تُقهر.

راحة الإداري مع النثر الخطي المبني على الدعامات البشرية تعكس أسلوباً معرفياً يتوافق أكثر مع التوقعات النمطية العصبية. ملفي الشخصي هو العكس: العمق الواقعي والمنطقي يأتي بشكل طبيعي (كما في تطوير منصة نشر متعددة اللغات بنفسني بالكامل)، لكن إنتاج نثر مدعوم وسهل الوصول للجمهور البشري كان دائماً الحاجز — بالضبط ما يصف المقالة. قبول نظارات الترجمة أو النصوص البديلة كتسهيلات شرعية بينما رفض دعامات نماذج اللغة الكبيرة للتباين المعرفي هو رسم حدود تعسفية. يفخر Mastodon والفيدرفيرس الأوسع بأنفسهم على الشمولية. ومع ذلك، يقدم هذا بوابات جديدة: تسهيلات معينة مرحب بها؛ أخرى يجب تجاوزها بالجهد الفردي.

صدي تاريخي: المقاومة للأدوات التحويلية

رفض استخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي العام يعكس نمطاً متكرراً عبر تاريخ التكنولوجيا. في إنجلترا في أوائل القرن التاسع عشر، حطم نساجون ماهرون يُعرفون باللوديين آلات النسيج الآلية التي تهدد حرفتهم ومعيشتهم. عارض مصابيح الغاز في المدن مصباح إديسون المتوهج، خوفاً من التقادم. قاوم السائقون والعاملون في الإسطبلات والمربون الخيول السيارة كتهديد وجودي لطريقة حياتهم. نظر الكتاب والرسامون المحترفون إلى آلة التصوير بقلق، معتقدين أنها ستقلل من قيمة العمل اليدوي الدقيق. قاوم المصممون والطابعون أنظمة التركيب الحاسوبية.

في كل حالة، نشأت المقاومة من خوف حقيقي: التكنولوجيا الجديدة جعلت المهارات التي يفتخرون بها قديمة، محاسبة أدوارهم الاقتصادية وهويتهم الاجتماعية. بدت التغييرات كتقليل لقيمة العمل البشري.

ومع ذلك، يقيم التاريخ هذه الابتكارات بتأثيرها الأوسع: الآلية قللت من الجهد الشاق ومكنت الإنتاج الجماعي؛ الإضاءة الكهربائية مددت ساعات الإنتاج وتحسنت السلامة؛ السيارات منحت الحركة الشخصية؛ آلات التصوير ديمقراطت الوصول إلى المعلومات؛ التركيب الرقمي جعل النشر أسرع وأكثر سهولة. قلة اليوم ستعود إلى مصابيح الغاز أو النقل بالخيول فقط لحفظ الوظائف التقليدية. الأدوات وسعت القدرات البشرية والمشاركة أكثر مما قللتها.

الذكاء الاصطناعي التوليدي - المستخدم كطرف اصطناعي للمعرفة أو الإبداع - يتبع المسار نفسه: لا يمحو النية البشرية بل يمد التعبير لأولئك الذين كانت أفكارهم محاصرة بحواجز التنفيذ. رفضه بشكل كامل يخاطر بتكرار الدافع اللودي — الدافع عن العمليات المألوفة على حساب المشاركة الأوسع.

الخاتمة: من يقرر أي التسهيلات مقبولة؟

الأحداث المروية في هذه المقالة - صورة واحدة تم الإبلاغ عنها، حظر واحد مفروض بسرعة، نقاش واحد مطول — تكشف أكثر من خلاف محلي حول التكنولوجيا. تكشف عن سؤال أعمق وأساسي أكثر: من يحق له تقرير أي التسهيلات مقبولة، وأيهما غير ذلك؟ هل يجب أن يكون الأشخاص الذين يعيشون داخل الجلد والدماغ الذي يحتاج التسهيل - أولئك الذين يعرفون، من الخبرة اليومية، ما الذي يبني الجسر بين قدراتهم والمشاركة الكاملة؟ أم يجب أن يكون الغرباء، مهما كانت نواياهم طيبة، الذين لا يشاركون تلك الواقعية المعيشة وبالتالي لا يمكنهم الشعور بثقل الحاجز؟

يجيب التاريخ على هذا السؤال مراراً، ودائماً تقريباً في الاتجاه نفسه. كانت الكراسي المتحركة انتقدت ذاتاً كتشجيع على الاعتماد؛ أنظمة تعليم الصم أصرت طويلاً على تعلم قراءة الشفاه والكلام الفموي بدلاً من لغة الإشارة. في كل حالة، انتصر الأشخاص الأقرب إلى الإعاقة في النهاية - ليس لأنهم نفوا مخاوف التكلفة أو الوصول أو سوء الاستخدام المحتمل، بل لأنهم كانوا السلطات الأساسية في ما يعيد فعلياً وكالتهم وكرامتهم.

مع نماذج اللغة الكبيرة وغيرها من الأدوات التوليدية، نعيش الدورة نفسها مرة أخرى. الكثيرون الذين يحرسون استخدامها لا يختبرون الحواجز المعرفية أو التعبيرية المحددة التي تجعل الدعامات الخطية أو التدفق السردية أو التسلسل السريع يشبه ترجمة لغة أجنبية مرهقة. من الخارج، “فقط حاول أكثر” أو “طور المهارة” يمكن أن يبدو معقولاً. من الداخل، الأداة ليست اختصاراً حول الجهد؛ إنها المنحدر، والسماعة، والطرف الاصطناعي الذي يسمح أخيراً للجهد الموجود مسبقاً بالوصول إلى العالم.

أعمق سخرية تظهر عندما يكون الحكام أنفسهم يحددون أنفسهم كذوي إعاقات عصبية، لكن عصبيتهم الخاصة تتوافق أكثر مع التوقعات النمطية العصبية في المجال المحكوم عليه. “تجاوزتها بهذه الطريقة، لذا يجب على الآخرين أيضاً” مفهوم، لكنه لا يزال يعمل كحراسة بوابات - تكرار نفس المعايير التي نتقدها عندما تأتي من سلطات نمطية عصبية. مبدأ أخلاقي متسق مطلوب:

- الشخص الأقرب إلى الإعاقة هو السلطة الأساسية في ما يمكنه المشاركة الهادفة.
- النقد الخارجي شرعي حول الأضرار الجماعية (التأثير البيئي، خطر المعلومات المضللة، إزاحة العمالة)، لكن ليس حول الشرعية الداخلية للتسهيل نفسه.

معيار مزدوج مثير للاهتمام يظهر في الطلب الواسع الانتشار بأن يتم الكشف صراحة عن استخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي. لا نطلب كشفاً مشابهاً لمعظم التسهيلات الأخرى. على العكس، نحتفل بالتقدم التكنولوجي الذي يجعلها غير مرئية: النظارات السميكة استبدلت بعدسات لاصقة أو جراحة انكسارية؛ السماعات الضخمة مصغرة إلى قريبة من الخفاء؛ الأدوية للتركيز أو المزاج أو الألم تؤخذ بشكل خاص دون حاشية أو إخلاء مسؤولية. في هذه الحالات، يعامل المجتمع الاستخدام الخفي والمخفي كتقدم - كاستعادة للكرامة و💎💎 طبيعية. لكن عندما يمد التسهيل المعرفة أو التعبير، ينقلب السيناريو: الآن يجب أن يُعلن، يُعلن، يُبرر. الخفاء يصبح مشبوهاً بدلاً من مرغوب. هذا الطلب الانتقائي للشفافية ليس حقاً عن منع الخداع؛ إنه عن الحفاظ على الراحة مع صورة معينة للتأليف البشري غير المساعد. التصحيحات الجسدية مسموح لها بالاختفاء؛ تصحيحات العقل يجب أن تبقى مرئية بشكل واضح.

إذا كنا نريد التناسق، يجب أن نطالب إما بالكشف عن كل تسهيل (متطلب سخي وتدخل) أو نتوقف عن استهداف الأدوات المعرفية للتدقيق الخاص. الموقف المبدئي - الذي يحترم الاستقلال والكرامة - هو السماح لكل شخص بتقرير مدى ظهور أو إخفاء تسهيله، دون قواعد عقابية تستهدف شكلاً واحداً من المساعدة لأنه يزعج مفاهيم موجودة للإبداع والذكاء. هذه المقالة ليست دفاعاً عن أداة واحدة معينة فقط. إنها دفاع عن الحق الأوسع للأشخاص المعاقين وذوي الإعاقات العصبية في تحديد احتياجات الوصول الخاصة بهم، دون الحاجة إلى تبريرها لأولئك الذين لم يمشوا في أحذيتهم أبداً. هذا الحق لا يجب أن يكون مثيراً للجدل. ومع ذلك، كما يظهر الرواية السابقة، لا يزال كذلك.